

# ابن حزم يذم القياس والمجتهدين

واعلم أن العلماء في هذا المثل يعيرون القياس، ويذمون الرأي، ويقولون: إن من قاس فقد اتبع إبليس؛ لأنه أول ما رد النصوص بالقياس، وعن ابن سيرين -رحمه الله- ما وجدت .. إلا بالقياس، ويكثر في كلام السلف ذم الرأي والقياس. ومن أشنع من يحمل على المجتهدين في القياس الظاهري وبالخصوص أبو محمد ابن حزم -عفا الله عنا عنه- فإنه حمل على أئمة الهدى -رحمهم الله- وشأن عليهم تشنيعاً عظيمًا، وسخر منهم سخرية لا تليق به ولا بهم، وجزم بأن كل من اجتهد بشيء لم يكن منصوصاً في كتاب الله أو سنة نبيه بأنه ضال، وأنه مشرع. وحمل على الأئمة، وسخر من قياساتهم، وجاء بقياسات كثيرة للأئمة، وسفهها، وسخر من أهلها، فتارة يسخر من أبي حنيفة -رحمه الله- وتارة من مالك وتارة من أحمد وتارة من الشافعى . لم يسلم منه أحد منهم في قياساتهم. ومن عرف الحق عرف الأئمة -رحمهم الله- أنهم أولى بالصواب من ابن حزم وأن ما شنع عليهم فهم أولى بالصواب منه، وأنه هو حمل عليهم وهو أولى بالخير منه، وأعلم بالدين منه، وأعمق فهما لنصوص الكتاب والسنة منه. وهذا باب كثير فابن حزم يقول: لا يجوز اجتهاد كائن ما كان، ولا يجوز أن يتكلم في حكم إلا تبعاً لنص من كتاب أو سنة. أما من دعا بشيء لم يكن منصوصاً في الكتاب ولا السنة فهو مشرع ضال، ويزعم أن ما أطلقه الأئمة من الأحكام المسكونة عنها، واستنبطوها من المنطوقات أن كل ذلك ضلال، ويستدل ب عشرات الآيات إن لم تكن مئات الآيات فلا أقل من عشرات الآيات يقول الله تعالى: { أَتَّغْوِيَ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَا شَيْءٌ مِّنْ دُونِهِ أُوْلَئِكَ } والمقاييس لم تنزل علينا من ربنا. ويقول: { قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا يُوَحِّي إِلَيَّ رَبِّي } فجعل الهدى بخصوص الوحي لا بخصوص المقاييس. ويقول: { وَأَنْ أَخْكُمْ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } { فَأَوْلَئِكَ هُمُ الطَّالِمُونَ } { فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } والقياس لم يكن مما أنزل الله. وبأيادي بنحو الآيات من هذا بشيء كثير جداً، ويقول: إن القياس لا يفيد إلا الظن، والله يقول: { إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً } . وفي الحديث: { إِيَّاكُمْ وَالظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ } ويقول: إن كل ما لم يأت في نص من كتاب أو سنة لا يجوز البحث عنه ذلك أن الله حرم أشياء، وأحل أشياء، وسكت عن أشياء لا نسياناً رحمة بكم فلا تسألو عنها ، وفي حديث: { مَا سكت الله عنه فهو عفو } . ويقول: إن ما لم يأت في كتاب ولا سنة فالبحث عنه حرام، وهو معفو لا مؤاخذه فيه... كما قال: فنحن مثلاً وجب علينا صوم شهر واحد من السنة وهو رمضان، وسكت الوحي عن إيجاب شهر آخر فلم يجب علينا إلا هذا؛ لأن ما سكت عنه فهو عفو. ووجبت علينا الصلوات، وغيرها لم يكن علينا، وإن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث ضمام بن ثعلبة قال: لا، لما طالبه الأعرابي ضمام هل علي غيرها؟ { قال: لا إلا أن تطوع } أما إنها توجد أشياء لا يمكن أن تكون عفواً، ولا بد من النظر فيها والاجتهاد.